روح الصيام

ومعانيه

تأليف الدكتور

عبد العزيز بن مصطفى كامل

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

ح مجلة البيان١٤٢٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

كامل، عبد العزيز مصطفى

روح الصيام ومعانيه،عبد العزيز مصطفى كامل

الرياض، ١٤٢٥هـ

١٤٠ ص؛ ١٧X ٢٤

ردمك: ٤ -٦ - ٩٤٤٩ - ٩٩٦٠

١ - الصوم.

أ - العنوان

ديوي ٢٥٢,٣ ١٤٢٥/٥٧٢٧

رقم الإيداع: ٥٧٢٧ / ١٤٢٥

ردمك: ٤-٦-٩٤٤٩-٩٩٦٠

المقدمـة

الحمد لله مقدِّر الأقدار، ومكوِّر النهار على الليل ومكوِّر الليل على النهار، سبحانه وتعالى من إله عظيم: ﴿ **يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ** ﴾ [**القصص**: ٦٨] اختار لنا من أيام دهرنا ما نتعرض فيه لنسائم رحمته، وعزائم مغفرته، في مواسم فاضلة يخلف بعضها بعضاً لنتوب إليه ونستغفره، ونذكر آلاءه فنشكره ﴿ **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا** ﴾ [**الفرقان**: ٦٢] والصلاة والسلام على إمام العابدين، وسيد الذاكرين الشاكرين، الذي علَّم العالمين كيف يرضون مولاهم، ويذللون دنياهم لتعمير أخراهم، فيغنمون الدين والدنيا معاً.

إنها مواسم تتكرر كل عام ﴿ **لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا** ﴾ [**الفرقان**: ٦٢] ومن هذه المواسم المتعاقبة مع الأعوام، شهر الصيام، الذي عظَّمه الله وكرَّمه، وشرَّف صوَّامه وقوَّامه، وخصَّهم فيه من الأجور ما ليس لغيره من الشهور، حتى جعل أجر صائميه متجاوزاً العشرة أمثال، والسبعمائة ضعف، إلى ما يزيد على ذلك مما لا يحد ولا يُعد فقال عليه الصلاة والسلام، متحدثاً عن ربه ـ عز وجل ـ: (كل عمل ابن آدم له، الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، قال الله ـ عز وجل ـ: إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به)[1].

فكل الأعمال يمكن أن تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلا الصيام، فإنه لا ينحصر تضعيفه عند حد، ولا يتوقف عند عدد. لأن الصيام تعبد بالصبر، وإنما.. ﴿ **يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ [**الزمر**: ١٠].

وقد يتضاعف أجر الصوم أضعافاً أخرى، لأسباب أخرى إضافة إلى تلك الخصوصية، ومنها: شرف المكان، أو شرف الزمان، أو شرف الإنسان، فأما

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٩٤)، (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١) (١٦٣).

شرف المكان فكأن تكون الطاعات ـ وبخاصة الصلوات ـ في أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال (المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، والمسجد الأقصىٰ) وأما شرف الزمان، فليس من الشهور أفضل من رمضان، غير أن أيام هذا الشهر ولياليه تتفاضل أيضاً، فالليالي الأواخر العشر هي أفضل الشهر والعمل الصالح فيها يتضاعف بشرف زمانها، وقد كان النبي ﷺ يجتهد فيها ما لا يجتهد في غيرها، وليلة القدر فيها، هي أفضل تلك العشر والعمل الصالح فيها يتضاعف حتىٰ يكون خيراً من عبادة ألف شهر.

وأما شرف الإنسان، فيكون بتقواه، فإنما ﴿ **يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ** ﴾ [**المائدة**: ٢٧]، والتقوىٰ هي عماد الشرف وميزان الكرم: ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾ [**الحجرات**: ١٣]، ولهذا فُضلت هذه الأمة علىٰ غيرها من الأمم لأنها أتقاها وأنقاها وأكثرها إيماناً واحتساباً ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ [**آل عمران**: ١١٠].

لقد ضاعف الله أجور العابدين من أمة محمد ﷺ علىٰ غيرهم من الأمم لفضلهم وشرفهم، فجعلهم السابقين برغم كونهم الآخرين (نحن الآخرون الأولون يوم القيامة)[1]. فكلما ترقَّىٰ المرء في مدارج الشرف بالصعود في معارج التقوىٰ، زادت أجور أعماله الصالحة.

وقد شُرع الصيام لأجل ذلك الترقي في أعمال التقوىٰ، فكان رمضان مضماراً للمتسابقين فيها، وميداناً للمتنافسين علىٰ أجورها: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [**البقرة**: ١٨٣]، فتحصيل التقوىٰ بنيَّاتها، وأعمالها، وأخلاقها، هو مقصد الصيام بنيَّاته وأعماله وأخلاقه.

---

(١) أخرجه البخاري (٨٧٦) ومسلم (٨٥٥)، واللفظ له.

ولما كانت أعمال شهر الصيام كثيرة، وأصناف الطاعات فيه متنوعة، فقد احتاج هذا إلى روح دافعة للاستمرار في القربات، باستثمار الليالي والساعات في أيامه المعدودات، حتى لا تتصرم لحظاته الثمينة كغيرها من اللحظات في انشغال بالدنيا، وانغماس في ملهياتها وشهواتها.

ونحن في عصر كثرت فيه فتن الضراء والسراء، وكأنها أيام الصَّبْر، التي أخبر النبي ﷺ أن للعامل فيها أجر خمسين من أصحابه[١]، وإن تفاقم الأمور فيها، وتضاعف ضحايا الفتن في أيامها ولياليها، يذكَّر بأحاديث الهَرْج، التي أخبر النبي ﷺ بكثرة وقوع القتل فيها في قوله عليه الصلاة والسلام: (يتقارب الزمان وينقص العمل ويُلقى الشح، ويكثر الهَرْج، قالوا: وما الهَرْج؟ قال القتل القتل)[٢]. فذهاب البركة في الأوقات، ونقصان عمل الطاعات وسلوكيات التمنع عن الخير والتهور في الشر، هي من سمات عصور الفتن، التي وصفها النبي ﷺ بـ(الهرج) ولهذا كان الاقبال على العبادة فيها له خصوصية تختلف عن غيرها، فقد صح عنه ﷺ قوله: (العبادة في الهَرْج كهجرة إليَّ)[٣].

ورمضان الكريم، مناسبة كبرى لتعويد النفس على العبادة، مهما كانت صروف الزمن وتقلبات الأيام، فعسى أن ينال المتعبد بتلك النية أجر المهاجرين الأولين إلى دار هجرة سيد الأولين والآخرين ﷺ.

وغاية هذا الكتاب، هي تذكير النفس والناس بروح الطاعات والعبادات في هذا الشهر الكريم، لتنمو للطاعة فينا قابلية تتحول إلى سجية في بقية شهور

---

(١) في قوله ﷺ: (من ورائكم أياماً، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم) قال عبد الله بن المبارك، وزادني غير عتبة: قيل يارسول الله أجر خمسين منا أو منهم، قال: (بل أجر خمسين منكم) أخرجه الترمذي (٢٩٨٤) وقال حسن غريب وأخرجه أبو داود (٣٧٧٨) وابن ماجه (٤٠٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٣٧)، (١٥٧).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٤٨).

العام، وليس قصد الكتاب التوسع في الأحكام والمسائل والفتاوىٰ، فتلك أمور أخرىٰ لها مجالاتها ورجالاتها، وإنما قصده إيراد المرغبات، واستعراض المرهبات، التي تعين علىٰ إعادة الروح لأعمال العبادة حتىٰ لا تستحيل إلىٰ عادة، تفقدنا الكثير من معاني العبودية المطلوبة في صلاتنا وصيامنا ونسكنا وسائر أمور حياتنا ومعادنا، ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [**الأنعام**: ١٦٢ – ١٦٣].

فلكي تستقيم العبادة مع مقتضىٰ العبودية، فلا بد من استرواح روحها واستحضار معانيها. ولهذا جاء هذا الكتاب (روح الصيام ومعانيه) بداية سير نحو تلك الغاية، نسأل الله بمنه وكرمه التوفيق فيها، وفيما يليها من دراسات أخرىٰ عن (روح العبادات ومعانيها).

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المؤلف

غرة شعبان ١٤٢٥هـ

الموافق للخامس عشر من شهر سبتمبر ٢٠٠٤م

(١)
استقبالك (رمضان)

لا شك أن الإنسان إذا عمل عملاً، أو زار مكاناً، أو اجتمع إلىٰ شخص، واستشعر أثناء ذلك أنه لن يعود إليه مرة أخرىٰ؛ فإن هذا الشعور يضاعف في نفسه شعوراً آخر بضرورة اغتنام تلك الفرصة التي قد لا تتكرر، ولهذا فإن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ لما استمعوا من النبي ﷺ إلىٰ موعظة ذرفت منها العيون، ووجِلت منها القلوب، واستشعروا عمقها وشمولها، قالوا: (كأنها موعظة مودِّع، فأوصنا)[١]، فاغتنموا مشاعر الوداع لاستجماع وصية قد لا تتكرر مناسبتها.

ولما حج النبي ﷺ حجة الوداع، وأحس أنه لن يلقىٰ أمته في مثل ذلك الجمع في الدنيا مرة أخرىٰ، جمع لهم من النصيحة في كلمات، ما تفرق خلال دعوته في عقود وسنوات قائلاً: (لعلىٰ لا ألقاكم بعد يومي هذا)[٢]. إن هذا يدل علىٰ أن استشعار معنىٰ الوداع يعطىٰ دافعاً قد لا يتوافر في عدمه، ومن هنا ندرك السر في نصيحته ﷺ لأحد أصحابه عندما قال له: (إذا قمت في صلاتك، فصل صلاة مودِّع)[٣].

تعالوا نتصور... رجلاً مخلصاً يصلي ركعات يعلم أنه يودِّع الدنيا بها، كيف ستكون في تمامها... في خشوعها... في شدة إخلاصها وصدق دعائها..؟

إن الرسول ﷺ يعلمنا بهذا الهَدْي ـ والله أعلم ـ كيف نتخلص من آفة تحوّل العبادة إلىٰ عادة، فلماذا لا نستحضر روح الوداع في عباداتنا كلها، خاصة وأننا إلىٰ وداع في كل حال؟ إن رمضان يحل علينا ضيفاً مضيافاً، يكرمنا إذا أكرمناه،

---

(١) جزء من حديث أخرجه الترمذي (٢٦٧٦) وابن ماجه في المقدمة (٤٢، ٤٤)، وأحمد (١٦٦٩٤) والدارمي في المقدمة (٩٥) جمعيهم عن العرباض بن سارية مرفوعاً، وصححه الألباني (صحيح أبي داود (٣٨٥).

(٢) أخرجه الدارمي رقم (٢٢٩).

(٣) أخرجه أحمد (٢٢٩٨٧)، وابن ماجة (٤١٧١)، وحسنه الألباني بمجموع طرقه كما في صحيح الترغيب والترهيب (٣٣٥٠)، وانظر السلسلة الصحيحة (٤٠١، ١٩١٤).

فتحل بحلوله البركات والخيرات، يُقدم علينا، فيقدِّم إلينا أصنافاً من الإتحافات والنفحات.. ضيف لكنه مُضيف، وربما يكون الواحد منا في ضيافته للمرة الأخيرة..! أو ربما ينزل هو في ضيافة غيرنا بعد أعمار قصيرة.. فهلا أكرمنا ضيفنا..؟! وهلا تعرضنا لنفحات مضيفنا..!

إن استقبالنا لرمضان، استقبال المودعين المغتنمين، لا ينافي استقبالنا له ونحن فرحين مستبشرين، فقد كان النبي ﷺ يبشر أصحابه برمضان، بشرىٰ التشوق لبركاته، والتشوف للرحمات في كل ساعاته وأوقاته، فيقول لهم: (قد جاءكم رمضان، شهر مبارك، كتب الله عليكم صيامه، فيه تفتح أبواب الجنان، وتغلق أبواب الجحيم، وتغلُّ فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حُرم خيرها فقد حرم)[١]... أعد التأمل في هذه الكلمات المملوءة بالمعاني، وتخيَّل أن فرصة شهرٍ هذه صفاته وتلك نفحاته، لاحت لك فلم تغتنمها، علىٰ أمل أنها ستعود وتعود، ولم تكن عبادتك فيها عبادة مودع حتىٰ فاتتك أوقاتها وتجاوزتك رحماتها..! ألن تستحق وقتها أن توصف بأنك محروم؟!

لقد كان سلفنا الكرام يترقبون الشهر متمنين تمامه لإتمام صيامه وقيامه متقلبين في أيامه بين الطاعات والعبادات، فكان من دعائهم ـ كما قال يحيىٰ بن أبي كثير: «اللهم سلِّمنا إلىٰ رمضان، وسلِّم لنا رمضان، وتسلَّمه منا متقبلاً». وكانوا ـ كما قال معلىٰ بن الفضل ـ يدعون الله تعالىٰ، ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبله منهم[٢]، إن هذا الاستعداد الصادق لاستقبال الشهر وحسن ضيافته، يدل علىٰ قلوب حية، تعي عن الله كلماته في تعظيم الشهر، وتحمل عن الرسول ﷺ هديه فيه، يقول ابن رجب ـ رحمه الله ـ: (بلوغ شهر رمضان وصيامه نعمة عظيمة علىٰ من أقدره الله عليه، ويدل عليه حديث الثلاثة الذين استشهد اثنان منهم، ثم مات الثالث علىٰ فراشه بعدهما، فرؤي في النوم سابقاً لهما، فقال النبي ﷺ: (أليس صلىٰ بعدهما كذا وكذا صلاة، وأدرك رمضان فصامه، فوالذي

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٩٢١٣)، والنسائي (٢١٠٦) وهو صحيح لغيره كما في تمام المنة للألباني (٣٩٥) وأصله في الصحيحين..

(٢) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف لابن رجب الحنبلي، ص ٢٣٥، مؤسسة الرسالة.

نفسي بيده، إن بينهما لأبعد مما بين السماء والأرض)[١].

أتي رمضان مـــزرعة العبـــاد لتطهير القلوب من الفســـاد

فأد حقـــوقه قولاً وفعـــلاً وزادك فاتخـــــذه للمعـــاد

فمن زرع الحبوب وما سقاها تأوه نادمـــاً يـــــوم الحصـــاد

تعال معنا ـ أيها القارئ الحبيب ـ نستحضر أحاسيس صيام المودعين، لعلنا نَدَع بها دَعَة تتلف أيامنا، وعِدَة من الأماني تضعف إيماننا، تعال نخص هذا الشهر الكريم بمزيد اعتناء وكأننا نصومه صيام مودع! تعالوا نقف مع أنفسنا هذه الوقفات لإخراج صيامنا من إلف العادة إلى روح العبادة:

* نصوم رمضان في كل عام، وهَمُّ أكثرنا أن يبرئ الذمة، ويؤدي الفريضة... فليكن همنا لهذا العام تحقيق ـ نعم تحقيق ـ معنى صومه (إيماناً واحتساباً) ليغفر لنا ما تقدم من ذنوبنا.....، وهي كثيرة.

* نحرص كل عام على ختم القرآن مرات عديدة.. فلتكن إحدى ختمات هذا العام، ختمة بتدبر وتأمل في معانيه، بنية إقامة حدوده قبل سرد حروفه.

* يتزايد حرصنا في أوائل الشهر على عدم تضييع الجماعة مع الإمام، فليكن حرصنا هذا العام طوال الشهر على إدراك تكبيرة الإحرام.

* نخص رمضان بمزيد من التوسعة على النفس والأهل من أطايب الدنيا الدانية، فليتسع ذلك للتوسعة عليهم بأغذية الروح العالية، في كتاب يُقرأ، أو شريط يُسمع، أو لقاء يفيد.

* إذا أدخلنا السرور على أسرنا بهذا وذاك، فلنوسع الدائرة هذا العام فندخل السرور على أُسر أخرى، أَسَرَتْ بعضها الأسِرَّة أو الأسوار، في قيد مرض، أو كيد عدو.

* نتصدق كل عام بقصد مساعدة المحتاجين، فلنجعل من مقاصدنا هذا

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٧٣٨٤)، وابن ماجة (٣٩٢٥)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣١٧١).

العام، مساعدة أنفسنا التي بين أضلعنا في حاجتها إلىٰ التخلص من نار الخطيئة، بالإخلاص في الصدقات بنية مغفرة كل زلة وإطفاء كل خطيئة.

* نحرص علىٰ العمرة في رمضان لفضلها، متطلعين لما بعدها، فلنجعل عمرتنا هذا العام ـ إذا أذن الله ـ لعمرنا الباقي، فقد يكون آخر العهد بالبيت ذاك الطواف.

* نحرص وإياك علىٰ اكتساب العمل النافع لأنفسنا، فليكن النفع متعدياً هذا العام، بنصائح تسدىٰ، أو كتب تهدىٰ، لعل الله يكتب في صحائفنا حسنات قوم دللناهم علىٰ الخير فـ (الدال علىٰ الخير كفاعله)[١].

* لنفسك وأهلك من دعائك النصيب الأوفىٰ، فلتتخل عن هذا (البخل) في شهر الكرم، فهناك الملايين من أهليك المسلمين يحتاجون إلىٰ نصيب من دعائك الذي تؤمِّن عليه الملائكة قائلين: (ولك بمثل)[٢].

* الجود محمود في رمضان، وأنت أهله ببذلك القليل والكثير، فليمتد جودك هذا العام إلىٰ الإحسان لمن أساء، وصلة من قطع، وإعطاء من منع.

* لنكف عن الاعتكاف إلىٰ الناس، ونكتفي بالعكوف مع النفس لمحاسبتها، فلربما يفجؤنا الموت فنُعكف بالقبر، فتحاسب أنفسنا فيه قبل أن نحاسبها.

* نحب التعبد بتفطير الصائمين، فلنجرد هذه الطاعة من حب المحمدة، أو دفع المذمة، لأن البذل بالرياء لا يثيب صاحبه، بل يصيب مقاتله؛ إذ يعطي ولا يأخذ، ويغرم ولا يغنم.

* قدر رمضان يتضاعف في ليلة القدر، فهل قدَّرت في نفسك أنها ربما فاتتك في أعوام خالية؟! فاغتنمها هذه المرة، فقد لا تدركها في السنوات التالية.

(اللهم بارك لنا في رمضان وتقبل حسن استقبالنا له وأعنا على صيامه وقيامه واجعلنا فيه من الأتقياء الأنقياء العتقاء من النار... آمين)

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٧٠)، وأحمد في مسنده (٢١٣٢٦)، (٢١٩٤٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٦٦٠).

(٢) جزء من حديث: (دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل، كلما دعا لأخيه قال الملك الموكل به: آمين، ولك بمثل) أخرجه مسلم (٤٩١٤).

(٢)

صيامك في رمضان

مع ضرورة اهتمام الصائم بروح الصيام ومعانيه، فمن المهم أن لا يترك الاعتناء بأحكامه وأدلته وما يعين على حسن الاتباع فيه، فكما يفتقد كثير من الناس الروح الدافعه لإحياء مقاصد تلك الفريضة، فإن كثيراً منهم يفتقرون إلى معرفة الأحكام التي تصحح تأديتها، وتقوِّم إتمامها.

وهاك ـ أخي الصائم ـ أهم تلك الأحكام، مع ما يظهر فيها من حِكَم:

أولاً: يكفي في ثبوت دخول الشهر الكريم، أن يخبر برؤية هلاله أو يشهد عليها واحد من المسلمين، وهذا من عدم التكلُّف في العبادة، فقد كان رسول الله ﷺ يصوم ويأمر المسلمين بالصيام، إذا رأى هلال رمضان واحد منهم، وتحدث عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن ذلك فقال: (تراءى الناس الهلال فأخبرت النبي ﷺ أني رأيته، فصام وأمر الناس بصيامه)[١]. والاكتفاء بخبر الواحد في ثبوت الرؤية هو مذهب الشافعي[٢] والحنابلة[٣] وابن حزم[٤]، وهو اختيار ابن تيمية[٥] وابن القيم[٦] (رحمهم الله جميعاً).

ثانياً: رمضان شهر منفرد، وهو كامل في الأجر وإن نقص في العدد، ولتمييزه عما قبله وعما بعده، شُرع الإفطار قبله بيوم أو يومين، كما الافطار أن صيام يوم العيد بعده حرام، وقد قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ:

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٣٤٢) والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٩٠٨).
(٢) انظر: روضة الطالبين (٢/ ٢٠٧).
(٣) انظر: الفروع (٣/ ١٤).
(٤) انظر: المحلي (٤/ ٣٧٣).
(٥) انظر: مجموع الفتاوى، (٢٥/ ١٠٥).
(١) انظر: زاد المعاد (٢/ ٣٨).

(لا تقدَّموا رمضان بصوم يوم ولا يومين، إلا رجل كان يصوم صوماً فليصمه)[١]، بل لقد كان النبي ﷺ يأمر بترك الصيام قبله بأسبوعين، حتىٰ يقبل الصائمون علىٰ صيامه بتشوق، فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: (إذا انتصف شعبان فلا تصوموا)[٢].

ثالثاً: مع عِظَم أجر الصيام؛ فإن رحمة الله اقتضت ألا يوجبه إلا علىٰ كل عاقل بالغ قادر، فلا يجب علىٰ فاقد العقل ولا علىٰ غير البالغ، ولا علىٰ العاجز عن الصيام لمرض أو شيخوخة، علىٰ أن يطعم مكان كل يوم مسكيناً. وإعفاء غير القادرين علىٰ الصيام، لا يعفيهم عن إجلال الشهر وعدم الإخلال بحرمته وكرامته، واستغلال أوقاته فيما يستطاع من طاعات. أما غير المسلم، وغير العاقل لما يفعل، وكذا المرأة في حال حيضها أو نفاسها؛ فإن الصيام من هؤلاء غير صحيح وغير مثاب عليه، فغير المسلم وغير العاقل لا صحة لصومهما لفقدهما شرط صحة النية، وأما المرأة في حيضها أو نفاسها فبوسعها أن تكثر في شهر الصوم من أعمال الطاعات الأخرىٰ غير الصيام والصلاة، كاستماع القرآن وكذا الإكثار من الذكر والتسبيح والاستغفار والدعاء، مع الإكثار من أعمال البر والصدقة.

رابعاً: لأن الصيام جوهره الاحتساب لله، فلا بد من تجديد النية في ذلك، ولهذا اشترطت تلك النية في كل ليلة، حتىٰ يحصل القبول، فعن حفصة ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ قال: (من لم يبيِّت الصيام من الليل فلا صيام له)[٣]، ويكفي في النية هنا العموم، فمالم ينو المرء الإفطار من ليلته، فهو علىٰ نيته العامة في مواصلة الصيام كل ليلة.

---

(١) أخرجه البخاري (١٩١٤)، ومسلم (١٠٨٢).
(٢) أخرجه أبو داود (٢٣٣٧)، وصححه الألباني في صحيح أبو داود (٢٠٤٩).
(٣) أخرجه النسائي (٢٣٣٤)، واللفظ له، وأحمد (٣٥٩١٨)، وأبو داود (٢٤٥٤)، والترمذي (٧٣٠) وابن ماجة (١٧٠٠) وصححه الألباني في الإرواء (٩١٤).

خامساً: من بيَّت نية الصيام، ففرضه لكي يصح صومه؛ أن يمسك عن المفطرات، من طلوع الفجر الثاني إلىٰ غروب الشمس، فقد قال ـ سبحانه ـ : ﴿ **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ** ﴾ [**البقرة**: ١٨٧] ، ويوجب هذا الإمساكُ علىٰ الصائم ألا يجرح إمساكه بشيء من المفطرات الست المتفق عليها، وهي :

١ ـ الأكل والشرب عمداً، إما بمأكول أو مشروب معهود.

٢ ـ مافي حكم الأكل والشرب كقطرة الأنف التي تصل إلىٰ الحلق، فإنها تأخذ حكم المبالغة في الاستنشاق حتىٰ يبلغ الماء الحلق، وهو ما يفطِّر الصائم، لقوله ﷺ: (وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائماً)[١] ومن المفطرات أيضاً: الإبر المغذية، فهي في معنىٰ الأكل والشرب، لأنها تقوم مقامهما، فتأخذ حكمهما، ومما هو في معنىٰ الأكل والشرب أيضاً: التزود بالدم عن طريق الأنابيب، لأن الدم هو غاية الأكل والشرب فكان بمعناهما. أما ما ليس في معنىٰ الأكل والشرب، كالقطرة في العين أو الأذن، وكذا الكحل وشم الطيب، والإبر غير المغذية، وأنواع اللبوس التي يتداوىٰ بها المرضىٰ، فهي لا تفطر، لأنها ليست أكلاً ولا شرباً وليست في معناهما، وكذلك يترجح في الحجامة أنها ليست من المفطرات، فحديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : (احتجم رسول الله ﷺ وهو صائم)[٢]، يعد ناسخاً لحديث ثوبان ـ رضي الله عنه ـ (أفطر الحاجم والمحجوم)[٣]، ويشهد لذلك حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال :

---

(١) أخرجه الترمذي (٧٨٨) واللفظ له، وأبو داود (١٤٢)، والنسائي (١١٤) وابن ماجة (٤٠٧) وأحمد (١٥٩٤٥) بنحوه، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٦٣١).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٣٩).

(٣) أخرجه أحمد (١٥٤٠١) والترمذي (٧٧٤) والنسائي في السنن الكبرىٰ (٣١٦٠) وأبو داود (٢٣٦٧) وابن ماجة (١٦٨٠) وأحمد (١٦٦٦٣) من حديث ثوبان، وقال النووي: إسناده صحيح (المجموع/ ٦/ ٣٤٩) وصححه الألباني في الإرواء (٩٣١).

(رخص رسول الله ﷺ في القبلة والحجامة للصائم)[١].

٣ ـ الجماع، مفطر بالإجماع، وكذلك إنزال المني في يقظة عمداً، بمباشرة أو استمناء أو غيره، لأن ذلك في معنى الجماع.

٥ ـ الاستقاءة المتعمدة، وهي مفطرة بالإجماع بخلاف ما لو غلب عليه القيء، فإنه لا يفطر، لحديث رسول الله ﷺ: (من ذرعه القيء فليس عليه قضاء، ومن استقاء فليقض)[٢].

٦ ـ خروج دم الحيض أو النفاس، يفطر بالإجماع[٣]، ولو وجد ذلك في آخر أوقات النهار، لحديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: (أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم)[٤].

سادساً: من أفطر ناسياً أو مخطئاً، فإن صيامه صحيح ولا يجب عليه القضاء، فالنسيان معروف، وإن أكثر الناسي من الأكل والشرب، لقول الرسول ﷺ (من أكل أو شرب ناسياً وهو صائم فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه)[٥]، والمخطئ: كحال من ظن أن الفجر لم يطلع فأكل بعد طلوعه، أو ظن أن الشمس غربت فأكل قبل أن تغرب. أما من أفطر متعمداً من غير عذر، فهو آثم إثماً عظيماً، وتجب عليه التوبة إلى الله، ثم قضاء ما أفطره من أيام، كما ذهب إليه الجمهور.

سابعاً: إذا حاضت المرأة أو نفست في رمضان، حرم عليها الصيام، ووجب عليها القضاء بعد الطهر، فعن معاذة أنها سألت عائشة ـ رضي الله عنها ـ، قالت: ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ فقالت عائشة: أحرورية أنت؟

---

(١) أخرجه الدارقطني (٢/ ٣٩٧) وصححه الألباني في حقيقة الصيام(٧٠).
(٢) أخرجه أحمد (١٠٠٨٥) وأبو داود (٢٣٨٠) والترمذي (٧٢٠) وابن ماجه (١٦٧٦)، صححه الألباني في إرواء الغليل (٩٣٠).
(٣) نقل الاجماع في هذه المسائل الامام النووي، انظر: المجموع (٦/ ٢٥٤)، (٦/ ٣٣١).
(٤) أخرجه البخاري (١٩٥١)، ومسلم (٨٨٩).
(٥) رواه البخاري (٦٦٦٩).

قالت: لست بحرورية، ولكني أسأل، فقالت عائشة: (كان يصيبنا ذلك، فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة)[١].

ثامناً: من سافر فقد أباح الله له الفطر، ولو لم يكن في سفر مشقة، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ **وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾ [**البقرة**: ١٨٥]، ولكن جواز الفطر في السفر لا يحرِّم الصيام فيه لمن أراد أن يصوم، فقد قال حمزة بن عمرو الأسلمي لرسول الله ﷺ: «يا رسول الله: أجد بي قوة علىٰ الصيام في السفر، فهل عليَّ جناح»؟ فقال رسول الله ﷺ (هي رخصة من الله، فمن أخذ بها فحسن، ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه)[٢].

تاسعاً: من جامع أهله في نهار رمضان، فقد أفطر وأثم، وعليه أن يقضي اليوم الذي أفطر فيه، ويؤدي كفارة عن ذلك وهي عتق رقبة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً، لحديث أبي هريرة بذلك في الصحيحين[٣].

عاشراً: من شق عليه الصوم في أيام معينة، فيجوز له الفطر، بل قد يجب إذا تحقق الضرر بالصيام، فقد رفع الله ـ تعالىٰ ـ عن هذه الأمة الحرج ﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ﴾ [**الحج**: ٧٨]، ومن أفطر للمشقة الشديدة، يقضي ما أفطره من الأيام إذا عوفي، والحامل والمرضع تأخذان حكم المتضرر بالصيام، إذا خافتا علىٰ نفسيهما أو ولديهما لقوله ﷺ: (إن الله تعالىٰ وضع عن المسافر

---

(١) رواه مسلم (٣٣٥) ومعنىٰ حرورية: أرادت الانكار عليها أن تكون من أرض حروراء التي ينتسب إليها الخوارج الذين كان بعضهم يرىٰ ـ لفرط تعمقه في الدين ـ أن علىٰ الحائض أن تقضي الصلاة!

(٢) رواه مسلم، كتاب الصيام رقم (١٨٩١).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٨٧)، (٦١٦٤) ومسلم (١١١١).

الصوم وشطر الصلاة وعن الحامل أو المرضع الصوم)[١].

حادي عشر: من عجز عن الصيام بشكل دائم، كالشيخ الكبير والمرأة العجوز، والمريض مرضاً لا يرجى برؤه، لا يجب عليهم الصوم، ولكن يجب عليهم أن يطعموا مكان كل يوم مسكيناً، فقد قرأ عبد الله ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ**﴾ [**البقرة**: ١٨٤]. وقال: «ليست بمنسوخة، هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة، لا يستطعيان أن يصوما، فليطعما مكان كل يوم مسكيناً»، ولكن إذا بلغ الشيخ أو الشيخة من العمر، مرحلة الهذيان وعدم التمييز، فلا يجب عليهما الصيام ولا الإطعام، لسقوط التكليف عنهما.

(اللهم فقهنا في ديننا، وعلمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً... آمين)

(١) رواه الترمذي (٧١٥) وقال: والعمل على هذا عند أهل العلم.

(٣)

قيامك في رمضان

قيام الليل (شرف المؤمن) هذا ما تنزل به أمين السماء جبريل ـ عليه السلام ـ على أمين الأرض محمد عليه الصلاة والسلام، حيث أتي جبريل إلى رسول الله ﷺ: فقال: (يا محمد: عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه استغناؤه عن الناس)[١]. وقيام ليل رمضان ليس ككل ليل، فقيام ليله شرف على شرف.

وقد كان رسول الله ﷺ يحتفي بالقرآن في ليالي رمضان، ويحتفي جبريل به وبالقرآن في ليالي الشهر الكريم، فيأتيه فيدارسه فيه، كما جاء في الحديث: (كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن) وفي نهاية الحديث قال: (وذلك كل ليلة)[٢].

وكان السلف أيضاً يحتفون بالقرآن في ليالي رمضان، فيقومون به فيها مالا يقومون في غيرها، فكان بعضهم يختم القرآن كله في ليالي الشهر، وبعضهم كان يختمه في كل عشر، وبعضهم في كل سبع، وبعضهم في كل ثلاث[٣].

ولقيام ليالي رمضان خصوصية عن بقية ليالي العام، لقوله ﷺ: (من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)[٤]، وقيامه إيماناً واحتساباً هو إحياء لياليه بالعبادة والقيام، تصديقاً بالثواب، وإخلاصاً في التقرب.

وقد قام النبي ﷺ بأصحابه بعض ليالي رمضان، ثم ترك ذلك إشفاقاً على

(١) أورده الألباني في السلسلة الصحيحة وقال: حسن لشواهده (١٩٠٣).
(٢) أخرجه البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٣) وظائف رمضان، ص ٤٣.
(٤) أخرجه البخاري (٣٧)، (٢٠٠٩)، ومسلم (٧٥٩).

الأمة من فرض القيام عليها وقال (خشيت أن تفرض عليكم)[١].

ولما أُمِنَ هذا الجانب بوفاة النبي ﷺ وانقطاع الوحي؛ أمر عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أبي بن كعب وتميماً الداري أن يقوما بالناس في شهر رمضان، فكان القارئ يقرأ بالمئين[٢] في الركعة، حتى كانوا يعتمدون على العِصي من طول القيام، وما كانوا ينصرفون إلا عند الفجر.

وهذا بالطبع يتأتى ممن يتحملون ذلك من أهل الهمم العالية التي تقاصر عنها الناس في زماننا، فالأمر في ذلك يرجع إلى طاقة الناس ـ مثلما ـ بيَّن الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ فعندما سُئل عن الإطالة التي تستغرق الليل قال: «في هذا مشقة على الناس ولا سيما في الليالي القصار، وإنما الأمر على ما يتحمله الناس»[٣].

وقد قال الإمام أحمد لبعض أصحابه ـ وكان يصلي بهم في رمضان ـ: «هؤلاء قوم ضعفاء» يريد الرفق بهم في الإطالة، فختم لهم صاحبه في ليلة سبع وعشرين[٤].

ودل هذا على أن الختم في سبع وعشرين ليلة، أو في ثلاثين ليلة، يتناسب مع (الضعفاء)، ولكن الضعف في زماننا تضاعف حتى وجدنا من يطالب الإمام بألا يزيد عن بضع آيات في الركعة، فإذا صلى معه بعضهم هذا البضع؛ انصرف بعد ركعتين أو أربع، مؤثراً شويئات من لعاعات الدنيا وزخارفها الزائلة، مع أن صبر هؤلاء المصروفين لو صبروا مع الإمام حتى يُتم الليلة، لكتب لهم ثواب قيام كل تلك الليلة، كما أخبر بذلك الرسول ﷺ، فقد قام بأصحابه مرة إلى ثلث الليل، ومرة إلى نصف الليل، فقالوا: لو نفلتنا بقية ليلتنا؟ فقال: (إن الرجل إذا

(١) أخرجه البخاري (٩٢٤) ومسلم (٧٦١).
(٢) المئين هي: السورة التي تحوي مائة آية أو نحوها.
(٣) المصدر السابق، ص ٣٩.
(٤) المصدر السابق، ص ٣٩.

صلىٰ مع الإمام حتىٰ ينصرف، كتب له بقية ليلته)[١].

وهذه الفضيلة لا تكون إلا لمن قام مع الإمام حتىٰ يتم قيامه. قال ابن رجب تعليقاً علىٰ ذلك الحديث: «دل علىٰ أن قيام ثلث الليل أو نصفه يكتب به قيام ليلة، لكن مع الإمام. وكان الإمام أحمد يأخذ بهذا الحديث، ولا ينصرف حتىٰ ينصرف الإمام»[٢].

إن قيام رمضان من روح الصيام، وإذا كان الأئمة يرشدون إلىٰ الرفق بالناس في إتمامه، فإنهم لا يحجرون علىٰ من صلىٰ وحده فأطال، أو من صلىٰ بغيره فأطاعوه وواطأوه في الاسترسال. قال ابن رجب: «ومن أراد أن يزيد القراءة ويطيل، وكان يصلي لنفسه فليطوِّل ما شاء، وكذلك من صلىٰ بجماعة يرضون بصلاته»[٣].

إن للقيام روحاً، كما أن للصيام روحاً، وروح القيام هي الخشوع والخضوع والإخبات، وقد كان ﷺ في صلاة القيام (لايمر بآية تخويف إلا وقف وتعوَّذ، ولا بآية رحمة إلا وقف وسأل)[٤] وكثير من الأئمة في التراويح يصلون صلاة لا يعقلونها، ولا يطمئنون في ركوعها ولا في سجودها، مع أن الطمأنينة ركن فيها، والخشوع وحضور القلب بين يدي الله هو مقصودها، ومثل هذا لا يحصل في العجلة، «فتقصير القراءة مع الخشوع في الركوع والسجود أولىٰ من طول القراءة مع العجلة المكروهة، وصلاة عشر ركعات مع طول القراءة والطمأنينة، أولىٰ من عشرين ركعة مع العجلة المكروهة، لأن لُبَّ الصلاة وروحها هو إقبال القلب علىٰ الله عز وجل، ورب قليل خير من كثير، وكذلك ترتيل القراءة أفضل من السرعة، والسرعة المباحة هي التي لا يحصل معها إسقاط شيء من الحروف، فإن أسقط بعض الحروف لأجل السرعة لم يجز ذلك له، ويُنهىٰ عنه. وأما إذا قرأ

---

(١) أخرجه أحمد (٢٠٩١٠)، وأبو داود (١٣٧٥)، والترمذي وحسنه (٨٠٦) والنسائي (٣/ ٨٣ـ ٨٤)، وابن ماجة (١٣٢٧) وصححه الألباني في إرواء الغليل (٤٤٧).

(٢) وظائف رمضان، ص ٤٠.

(٣) المصدر السابق.

(٤) أخرجه أحمد (٢٣٤٦٠) والنسائي (١١٣٢) وصححه الألباني في صحيح النسائي (١٠٨٥).